

إشكالية التحديث في الشعر العباسي*

د. جودة أمين*

«الشعرُ خيرُ كلام العرب..
ترتاح له القلوب.. وتجذل به النفوس..
وتصفي إليه الأسماع.. وتشحن به الأذهان..
وتحفظ به الآثار.. وتقيّد فيه الأخبار...»^(١)

(*) يتناول هذا البحثُ المعوقات التي ثبّطت همة التحديث في الشعر العباسي، ويدرس أبعادها المختلفة، من خلال نماذج تطبيقية من شعر الشعراء، ومن أقوال شاعدي العصر العباسي الأول، الخلفاء وأولي الأمر، بالإضافة إلى شىء من نظرات النقاد والمؤرخين والفنّيين .

(*) أستاذ الدراسات الأدبية المساعد بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة .

(١) الممتع في صنعة الشعر - عبد الكريم النeshلى القيرواني ص ٥، تحقيق : د . محمد زغلول سلام نشر منشأة المعارف - الإسكندرية ١٩٩٧ م .

وانظر أخبار أبي تمام - أبو بكر الصولى ص ١٧٦ ، ١٧٧، تحقيق : خليل عساكر وزميليه ، الطبعة الثالثة - دار الآفاق - بيروت ١٩٨٠ م .

وعلماء الاجتماع - أن الشعر أدق تصويراً للطبيعة الإنسانية من التاريخ ، إذ من خلال الشعر نستطيع تصور الوقائع التاريخية ، واستلهام القيم الخلقية ، واستنتاج المبادئ الاجتماعية ، وبه نرى - من داخل النفس - أعراف الناس وسلوكهم ، وكبريات قضاياهم ..

فحين « رأت العرب المنثور يند عليهم ، ويتفلت من أيديهم ، ولم يكن لهم كتاب يتضمن أفعالهم ، تدبروا الأوزان والأعارض ، فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء ، فجاءهم مستوياً . ورأوه باقياً على مر الأيام » (١)

وتلك حقيقة واقعة ...

فنحن - العرب - من خلال شعر آبائنا ، نحيط بجملة أحداث تاريخنا ، وغايات قادتنا وحكامنا ، وأحوال العرب المسلمين ، في مراحل تطوره ، حيث رسم الشعراء المثل العليا في حياة معاصريهم ، وأبرزوا الأعراف الاجتماعية لنوهم ، فكان لشعرهم فوق قيمته الفنية - قيمة تاريخية ، جعلته مصدراً موثقاً لدراسة العصر الذي نظم فيه بل جعلته جديراً باسم : ديوان العرب ..

لقد سجل لنا الشعر - في هذا الديوان - أخبار العرب في حروبهم وسلمهم ، وصور انفعالات الناس في معاملاتهم ، وأظهرنا على عواطفهم حباً وبغضاً ، وعرفنا - من خلاله - تقاليدهم وعاداتهم ، بعد أن نون الشاعر ما

تلك الهتافات .. لهج بها - ويأمثالها - المؤرخون إعجاباً ، وردنتها كثرة الدراسين - قديماً وحديثاً ، وحتى صارت من بدهيات النقد المستقرة ، إذ لا خلاف - بين الناس - على أن الشعر أعلى الفنون رتبة ، وأسماءها قدرة على تصوير السلوك الإنساني ، بل ما وراء السلوك الإنساني من نوازع ورغبات .

فالشعر .. ترجمة للمشاعر البشرية باللفظ والصورة ، يرتبط بالواقع المادي ، ويتصل بالخيال ، بل إنه يضم إلى عنصري الواقع والخيال مكوناً آخر مهما ، هو عنصر الفكر ، فالشعر - إذن - مزيج من الخيال و الواقع والفكر ، وهو بهذه الثلاثة يتفوق على كافة الفنون .

قارئ الشعر - إذن يستمتع بالخيال الشعري ، ويفيد - في الوقت نفسه - من الواقع فيه ، واقع معقول لمست يد الشاعر ، فجعلته رشيقياً مقبولاً ، قد خفت ماديته ، ورهفت حقيقته ، فصار الأقرب إلى فهم الإنسان ، والأصدق في إظهار إحساس الفرد ، والأجدي في التنويه بأمال الجماعة ..

وعلى الجملة .. فإن الشعر يعبر - مع نشوة ممتعة - عن أحداث المجتمع ، ويطلعنا على حالاته الطارئة ، وظروفه المتغيرة؛ ذلك .. أن الشعر - بحكم مقوماته الفنية - أشد انفعالاً ، وأسرع استجابة لقضايا الناس ، وتقلبات الحياة المتلاحقة .

فلا بدع - إذن - أن يؤمن علماء النفس -

(١) المصدر السابق ص ١٩ .

الموسقى والتصوير، حتى يوائم واقع المجتمع ، ويؤكد تلك التغيرات الثائرة، التي تفجرت إبان العصر العباسي حين دارت عجلة الزمن متسارعة، فدخل الحياة العربية عناصر من الحضارات والأجناس، وماجت بغداد بالوان متنوعة من الأفكار والثقافات ..

بيد أننا نصاب بشيء من خيبة الأمل .. حين نجد مسيرة الشعر الجديد تعوق عن هدفها ، بل إننا نحس بعض الإحباط ، إذ تثبط همّة التحديث ، في الشعر العباسي، عن قصد - أو عن غير قصد، بأن استوقفها عتاة المستوقفين ، يضعون في طريق التجديد العقبات والعراقيل ، ولقد تمثل ذلك في ثلاثة موقفات أساسية هي :

أولاً، حرص أولي الأمر على الأصالة، والإنابة عليها،

وفحوى تلك الإشكالية .. أن الشعر العربي - والعباسي منه على وجه الخصوص - لم يتح له أن يحيا حياة مستقلة ، يتطور فيها التطور الذي تساعده ظروفه عليه ، ثم لأن مبدعيه لم تهبط لهم - أيضاً - هذه الحياة؛ فقد ظلوا يدورون في فلك أولى الأمر، أصحاب السطان والنفوذ، ومن ثم .. حرموا الحرية التي لا يزدهر الشعر لونها ، وجاء شعرهم - في أشكاله ومضامينه - استجابة لما يريده الغير ، وصدى لما يائذن به الحاكم المتبوع .

لقد كان خلفاء الدولة العباسية يُقدرون

يراه - وما يحسه - من خلجات النفس ، ومنازع السلوك ..

ورضي الله عن الفاروق عمر بن الخطاب ، إذ يقول :

- كان الشعر علم قوم ... لم يكن لهم علم أصح منه.

وهو القائل - رضوان الله عليه .

- «نعم ما تعلمته العرب .. الأبيات ..

يقدمها الرجل بين يدي حاجته ..

فيستنزل بها اللثيم ، ويستعطف بها الكريم.....» (١).

وأياً ما كانت وفرة ما قيل في هذا الصدد.. فالعائد علينا أن الشعر يعطي القارئ - والدأرس - صورة نفسية صادقة للحياة وما يدور فيها، ويفسر لنا - إلى درجة كبيرة - ما قد تتصف به أفعال البشر من جدة وخمول ، أو هبوط وارتقاء.

*** **

ومع التقدير العظيم لشعرائنا، والاعتراف بحبنا الجميل لهم ومع الزهو بعروبيتنا، والإعجاب بفتنا العربي الأول ..

ثم ما دام الشعر يصور واقع الناس بالفكرة والخيال المشوق ..

فقد كنا ننتظر من الشعر في العصور العباسية تقدماً أكثر، يتطور فيه التفكير والتعبير، وتستجد به أنماط من

(١) المصدر السابق ص ١٩ .

التراث الشعري القديم، يُقبلون على رواته ،
ويتلذذون بالاستماع إليه، ويرونه مثلاً وقوة،
بل يطلبون من الشعراء محاكاته ، ونسخ
أشعارها على منواله ..

أنكر أبو نواس الفارسي.. طريقة العرب
السابقين في بناء القصيدة العربية، وخاصة
فيما تبدأ به، من الوقوف على الأطلال، أو
بكاء بقايا الدمن، واحتج - لذلك - بأن
الشاعر المعاصر لابد له أن يصف واقعه،
ويصور حياته، فلم تعد بين قصور بغداد
أطلال ولا دمن، ولسنا في حاجة إلى بكاء أو
استبكاء، إذ الجواري يملأن القصور
والحانات، والخمر والنساء هما الواجهة
الأولى لحياة الترف، التي تموج بها حواضر
العباسيين، فلا مناص - إذن - من أن تتغير
الطريقة، وتحل الخمر محل الأطلال، ثم قال
فيما قال: (١)

صِفَةُ الطُّلُولِ بِلَاغَةُ الْقِدَمِ
فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لَابِتَةَ الْكَرَمِ
وَعَلَامَ تَذَهَّلْ عَنْ مُشْعَشَعَةٍ
وَتَهَيَّمْ فِي طَلَلٍ، وَفِي رَسْمٍ؟؟
تَصِفُ الطُّلُولَ عَلَى السَّمَاعِ بِهَا!!
أَفَنُو الْعِيَانِ كَأَنْتَ فِي الْحُكْمِ؟؟

وإذا وصفت الشيء متبعاً
لم تخل من زلل، ومن وهم!!
لما استهجن أبو نواس البناء العربي
للشعر، وقال ما قال، أدرك الخليفة ما يرمي
إليه ذلك الفارسي الشاعر، من محاولة هدم
التقاليد العربية المستقرة، حينئذ غضب
الخليفة عليه، وجرمه من الدخول إليه، بل
يُقال إنه سجنه بتهمة الإسراف في وصف
الخمر، فتراجع أبو نواس كرهاً، وكف عن
دعوته مؤقتاً، وعاهد الخليفة أن يقلع عن
الخط من قدر التراث، وقال غصباً عن غير
اقتناع: (٢)

أَعْرِ شِعْرَكَ الْأَطْلَالَ وَالْدَمْنَ الْقَفْرَا
فَقَدْ طَالَ مَا أَزْدَى بِهِ نَعْتُكَ الْخَمْرَا
دَعَانِي إِلَى نَعْتِ الطُّلُولِ مُسَلِّطُ
يَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَجُوزَ لَهُ أَمْرَا
فَسَمْعَا - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - وَطَاعَة

وإن كنت قد جشمتني مركباً وعرأ
وحثي هذا الشعر.. الذي يعلن فيه السمع
والطاعة صراحة، يكشف عن أعماق
الرجل، ويفضح طويته الخفية، ويدل - بما لا
يدع مجالاً للشك - على أن أبا نواس ما يزال

(١) ديوان أبي نواس - شرح علي فاعور ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ الطبعة الأولى دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٨٧م.
وأبو نواس: الحسن بن هانئ، ولد بالأهواز، حول سنة ١٤٥هـ، في خلافة أبي جعفر المنصور، ولما نضجت شخصيته
العلمية والأدبية، انتقل إلى بغداد في الثلاثين من عمره، علماً في الأدب، وفحلاً من فحول الشعر، ويقتنر اسم أبي
نواس - في جدلية التحديث الشعري - بالثورة على مطالع القصيدة، في صورتها التقليدية، التي حفلت بوصف
الأطلال الدوارس، والبكاء على الدمن البوالي..

توفي أبو نواس حول سنة ١٩٨هـ.

(٢) ديوان أبي نواس ص ٢٠٢.

نظره - مع مُستحدثات العصور العباسية،
عصور الثقافة والحضارة والترف، عصور
الإقبال على مباحج الحياة الحديثة
ولذا نذها. (٢)

وموقف الخليفة العربي هنا، يُظهر لنا -
إلى مدى بعيد - حرص أولي الأمر على كل
ما يؤكد الهوية العربية، ومنها الحفاظ على
التقاليد الفنية للشعر العربي، سواء كان ذلك
عن إيمان حقيقي، أو عن مظهرية وإدعاء،
يقتضيهما التصدر لإمامة العرب المسلمين،
ويصرف النظر - أيضاً - عما إذا كان أبو
نؤاس قد أوفى للخليفة بعده أو لم يوف. (٣)

ولقد حاول الدكتور طه حسين، أن يُعلل
لروح المحافظة، التي سيطرت على الشعر
العباسي، وعاقته عن التطور المرجو، بخضوع
الامة العربية - آنذ - لمؤثرين مختلفين:

أحدهما: مادي حضاري يدفعها - بقوة -
إلى الامام..

والآخر: ديني لغوي يجذبها - بشدة - إلى
الخلف..

«... وأكاد أعتقد أن ليس للقديم أنصار،
أي أن أنصار القديم ليسوا مخلصين في

متعلقاً بمنهجه الثائر المتحرر، بعد أن
استحالت الأطلال عنده رموزاً للحياة العربية
القديمة، واستمع إليه يقول: (١)
دع الأطلال تسفيها الجنوبُ

وتبلي عهد جدتها الخطوبُ
وخل لراكب الوجناء أرضاً
تخبُّ بها النجبية والنَّجيبُ
بلادُ نبتتها عسراً وطلحُ
وأكثر صيدها ضبَعٌ وذيبُ
ولا تأخذ عن الأعراب لهواً
ولا عيشاً، فعيثهم جديبُ
فأين البدو من إيوان كسرى؟!

وأين من الميادين الدروبُ؟
والشاعر - هنا - لا يهاجم الوقوف على
الأطلال فقط، ولا يدعو إلى نبذ المطالع
القديمة فحسب، ولكنه يتجاوز ذلك كله إلى
الهجوم على حياة العرب الأقدمين، فيسخرُ
من راكب الوجناء، ويحث الناس على تركه
وشأنه، يخبُّ في أرض الطلح والذئاب، ولا
يُعجبه لهو الأعراب؛ لأنه لا يتناسب - في

(١) المصدر السابق ص ٣٥.

(٢) انظر: القيم الفنية المستحدث في الشعر العباسي، د. توفيق الفيل ص ١٨٨. مطبوعات جامعة الكويت.

(٣) عاش قلة من خلفاء بني العباس حياتين مختلفتين:

حياة خاصة: يبتعد فيها - إلى حد ما - عن القيم العربية، والخلق الإسلامي الودع، ويختلط ببعض الموالى الشعبيين، ممن
قد يُسيئون إلى الجنس العربي، ويحطون من تقاليده ونظم حياته.

حياة عامة: يحرص فيها على الظهور بالصورة التي تليق بإمام المسلمين وقائدهم، وقد يعلن للناس أنه المحافظ على كل ما
هو عربي الملتزم بتعاليم الإسلام، ومن لوازم هذه الحياة - أيضاً - أن يبدو للناس بشكل الحريص على اللغة
العربية، والشعر العربي لكي يُثبت في أذهان الرعية أن قيام الدولة العباسية على أكتاف الفرس الأعاجم لم
يكن - وإن يكون - مصدر خطر على لغة الضاد، وفننا العربي الأول... فن الشعر.

نصرهم للقديم، أو أنهم يخدعون أنفسهم حين
يظنون أنهم ينصرونه؛ ذلك أن هؤلاء القوم

الإيقاع بالنساء، من مثل قوله: (٢)

قاسِ الهُمومَ.. تذلُّ بها نُجْحاً

والليل.. إن وراءَهُ صُبْحاً

لا يُؤسِّنُكَ مِنْ مُخَدَّرَةٍ

قولُ تَغْلُظُهُ، وإن جَرَحاً

عُسْرُ النِّسَاءِ إلى مُيَاسَرَةٍ

والصَّعْبُ يُمَكِّنُ بعدَ ما جَمَحاً

يقال: إن المهدي لما بلغه قول بشار هذا..
استشاط غضباً، وأرسل في طلب الشاعر
الأعمى، فما إن دخل عليه حتى استنشدَهُ ذلك
الشعر، فأنشدَهُ بشار إياه، فزادت ثورة
الخليفة، وعلا صوته مؤنباً:

- تلك أمك..

يا عاضُ بَطَرِ أُمِّ..

أَتَحْضُ النَّاسَ على الفجور؟؟!!

وتَقْذِفُ المحصناتِ المُخَبَّاتِ؟؟!!

والله، لو قُلْتَ - بعدَ هذا - بيتاً واحداً في

نَسِيبِ لَاتَيْنِ على رُوحِكَ..

فأنشدَ بشار، وكأنه رضي المسكوتَ -

نصرهم للقديم، أو أنهم يخدعون أنفسهم حين
يظنون أنهم ينصرونه؛ ذلك أن هؤلاء القوم
يحيون كما يحيا غيرهم من الناس، وثق أنك
لو طلبت إلى الذين يسرفون في نصر القديم،
ويمقتون أنصار الجديد، ويصفونهم بالكفر،
أن ياكلوا ويجلسوا ويلبسوا على نحو ما كان
أجدادهم - منذُ قرون - يلبسون ويجلسون
وياكلون، لما سمعت منهم إلا إنكاراً، ولما رأيت
منهم إلا ازواراً... (١)

على أية حال.. رأينا خلفاء الدولة
العباسية - ووجهاءها - قاوموا جهدهم -
التحديث الشعري، وصدوا حركات التجديد،
ونزعات التحرر، واتخذوا - للوصول إلي
بُغيتهم - وسائل التهوين والاستخفاف، أو
التقريع والاستهجان، بل وصل الأمر بهم إلى
القسوة والعنف، والضرب بشدة على السنة
المخالفين، من رواد نزعة الحداثة..

آية ذلك.. أن بشار بن بُرد.. حينما ينزعُ
- في غزله - نزعة فارسية منحلة، ويبيت - في
شعره - تحريضاً للفتيان والفتيات على
المجون، بل إنه يحدد لهم - ولهن - يومين في
الأسبوع؛ يلتقون به، يلتفون حوله، لكي
يسمعوا غزله المستحدث الجديد، ويتبعوا

(١) حديث الأربعاء، طه حسين ج ٢ ص ٢١ الطبعة العاشرة - دار المعارف بمصر ١٩٧٦م.

(٢) ديوان بشار بن بُرد ج ٢ ص ٩٧، ٩٨ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٤م.

وراجع: الأغانى - أبو الفرج الأصبهاني ص ١٠٨٦ وما بعدها، تحقيق: إبراهيم الإيباري - مطابع دار الشعب - القاهرة..
وبشار بن فرد بن يرجوخ، قاري الأصل، ولد في العقد الأخير من القرن الأول للهجرة، فهو من مخضرمي النواتين، الأموية
والعباسية، ويعدُّ رأس المجددين في الشعر، قتل سنة ١٦٨هـ.

مكرهاً على مضض: (١)
والله.. لولا رضا الخليفة ما
أعطيت ضيماً علي في شجن
وربما خير لابن آدم في الـ
كُره، وشقّ الهوى على البدن
فاشرب على أبنّة الزمان، فما
تلقي زماناً صفاً من الأبن
قد عشت بين الرياح والراح والـ
مزهري، في ظل مجلس حسن
وقد ملأت البلاد ما بين يعبُو
ر، إلى القيروان، فاليمين
شعراً، تُصلي له العواتق والذ
يب، صلاة الغواة للوكن
ثم نهاني المهدي، فأنصرفت
نفسي، صنيع الموفق اللقن
ثم يقول بشار - بعد ذلك - متندراً، فيما
يبدو منه أنه غير مقتنع برأي الخليفة: (٢)
وقائل: هات، شوقنا.. فقلت له:
أنا ثم أنت.. يا عمرو بن سمان؟!
أما سمعت بما قد شاع في مضر؟!
وفي الحليفين.. من نجد وقحطان؟!
قال الخليفة: لا تنسب بجارية
إياك.. إياك.. أن تشقى بعضيان
وخرس بشار لسانه عن الغزل غصياً،
وظل - على ذلك الصمت فترة، حتى إذا
انشغل الناس، وتنوسيت الأمور، عاد إلى
غزله الذي كان، ولكنه تحايل لعمله - بدهاء
وخبت - حتى لا يقع تحت مقصلة العقاب
الأميري، فأمسينا نسمعه يقول مثلاً: (٣)
يا منظرأ حسناً رأيت
من وجه جارية فديته
لمعت إلي تسومني
عب الشباب وقد طويته
والله، رب محمد
ما إن غدرت ولا نويته
أمسكت عنك وربما
عرض البلاء وما بغيته
إن الخليفة قد أبى
وإذا أبى شيئاً، أبيته
ومخضب رخص البنان
بكي علي وما بكيته
ودعاني الرشأ الغريد
ر إلى اللعاب فما أتيت
ويشوقني بيت الحبيد
ب إذا غدوت وأين بيتته؟!
قام الخليفة دونه
فصبرت عنه وما قليته
ونهاني الملك الهما
م عن النساء وما عصيته

(١) ديوان بشار بن برد ج ٤ ص ٢٠٨ وما بعدها. وراجع: الأغاني ص ١٠٨٦ وما بعدها.

(٢) ديوان بشار بن برد ج ٤ ص ٢٠٤، ٢٠٥. وراجع: الأغاني ص ١٠٦٧.

(٣) ديوان بشار بن برد ج ٢ ص ٢٤ وما بعدها. وراجع: الأغاني ص ١٠٨٥ وما بعدها.

لا بل وفيت ولم أضع

عهداً ، ولا وأياً وأيتة

والأبيات - كما تري - غزلٌ خالصٌ ، فإذا
زدناك - هنا .. أنها كانت مقدمةً لقصيدةٍ
يمدحُ بها الخليفة المهدي ، أدركت مدى لؤم
بشار وخبط طويته ، حين يتخذُ من الإشارة
إلى النهي ذريعةً لمعاودة التشبيب .

ومرة ثانية يقول للمهدي متحايلاً: (١)

دفنت الهوى حيا فليست بزائر
سليمي ، ولا صفراء ما قرقر القمر
وغيري ، ثقال الردف هبت تلومني
ولو شهدت قبري لصلت على قبري
تركت لهدى الصلاة رضاءها
وراعيت عهداً بيننا ليس بالخر
ولولا أمير المؤمنين محمد
لقبّلت قاهماً ، أو جعلتُ بها فطري
فماذا لو خلي بين بشار وبين ما يحسُّ به
شاعر؟؟

وماذا لو لم تحل سطوة الخليفة بين
بشار ، وبين ما تسول له نفسه لتحديث فن
الغزل؟؟

أعتقد أن وجه الغزل العربي كان سيتغير
كثيراً كثيراً ، لو تركت همه التحديث الثائرة
على حماسيتها فلم تعوق ، أو أعطيت الحرية
الكافية للفكر السائل على ألسنة شعراء
الحداثة ، من أمثال بشار ومن لف لهُ ..

وقصة الخليفة المهدي مع المفضل الضبي
وحماد الراوية .. تدلنا على أن الخلفاء قد
يستجيدون الشعر المحدث ، ويتلذذون
بالاستماع إليه ، لكن وجودهم على قمة الهرم
الإسلامي ، كان يحتم عليهم أن يستهجنوه ،
ومن ثم .. يردونه على قائله ، أو يقللون
مكافأته ، أخرج المهدي - يوماً - خادماً يُنادي
في الناس: (٢)

- يا معشر من حضر من أهل العلم ..

إن أمير المؤمنين يعلمكم .. أنه قد وصل
حمادُ الشاعر ، بعشرين ألف درهم ، لجودة
شعره .. وأبطل روايته ؛ لزيادته في أشعار
الناس ما ليس منها ..

ووصل المفضل بخمسين ألفاً ؛ لصدقه
وصحة روايته ..

فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً ،
فليسمع من حماد ..

ومن أراد روايةً صحيحةً فليأخذها عن
المفضل .

وأياً ما كان الحال - وقتئذ .. فإننا نري أن
حرص أولي الأمر على الأصالة ، والحفاظ
الشكلي منهم على التقاليد العربية ، ثم الإقبال
المتزايد من الشعراء - طلاب الدنيا - على
عطايا الخلفاء ، قد عوق - إلى حد بعيد - تيار
التحديث الشعري ، وأدى إلى احتفاظ
الشعراء بالقيم الشعرية الموروثة ، إرضاءً
لأمراء المؤمنين ، وجلباً لصلاتهم السخية ..

وبهذا سرى من الخلفاء إلى الشعراء نوق
تقليدي محافظ ، وكان على هؤلاء الشعراء -

(١) ديوان بشار بن برد ج ٣ ص ٢٧٦ وما بعدها . وراجع: الأغاني ص ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ .

(٢) راجع القصة كاملة في: الأغاني ص ٢١٦٩ وما بعدها

يقابلُ بالإعمال والرُقَص..
ولكم ثار نُقَادُ البصرة - وعلمائها - في
وجه بشار الشاعر!!
ولكم استهجنوا اتجاههُ الحداثي!! ورموهُ
بالإلحاد..

يقولُ واصلُ بنُ عطاء: (١)
«... إنَّ منْ أخدع حبائل الشيطان
وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد...»
ثم أجمعوا أمرهم، وشكوهُ للخليفة
المهدي، وظلوا يُوغرون صدر الرعية عليه،
يهدرون دمه، ويستبجحون قتله، ويحرّضون
الناس على اغتياله، حتى ليقول واصل بن
عطاء: (٢)

«... أما لهذا الأعمى الملحد!!
أما لهذا المُشَنَّفِ، المُكْنَى بأبي مُعَاذٍ من
يقتله؟؟؟
أما - والله.. لولا أن الغيلة سجيئةٌ من
سجايا الغالية، أَدَسست إليه من يقتله...»

ولم يهدأ لهؤلاء - وأولئك - بال.. حتى
أخرجوه من البصرة مطروداً.

أكثرُ من ذلك - وأشدُّ تعنتاً.. أنْ نُقَادُ
العصورِ العباسية وضعوا ما اتفقوا على
تسميته: (عمودُ الشعر)، وهو مجموعةٌ من
الأنظمة الصارمة، والمقاييس المحكمة،
المستقاة من الشعرِ القديم وتقاليد بنائه، في
التحام أجزاء النظم والتئامها، وشرف المعنى
وصحته، واستقامة اللفظ وجزالته، مع
المقاربة في التشبيه، ومناسبة المستعار منه
للمستعار، وتخيّر لذيذِ الوزنِ الموائم

لكي يتلاصقوا مع رؤية ملوكهم - أن يلزموا
أنفسهم - ولو عن غير اقتناع - بما كان
يلتزم به الأقدمون، في مطالع القصائد، وفي
الانتقال بين أجزائها..

ثم كان عليهم - أيضاً.. لكي يظفروا بما
يبتغون من جوائز سنية، ألا يخرجوا عن هذا
النمط القديم، في الشكل، أو في المضمون
كليهما، مما عوق مسيرة التحديث في الشعر
العباسي، بل أرغم الشعراء - جلَّ الشعراء -
على النكوص عن الجديد، حين لمسوا إعجابَ
المانحين بالمذهب الشعري القديم.

بعبارة أخرى.. لقد وقفَ الخلفاء - وأولو
الأمر - حجر عثرة في طريق الحداثة، فغطَّلوا
مسيرة التجديد الشعري، وثبطوا همة
التحديث فيه، وما تركوا الحصاد يؤتي أكله،
كما يتمناها الناس، وما أمهلوه حتى تنضج
ثماره، كما رجاها الزراعون، وكان لسان
حال الشعراء ينطق فيقول: أنتم تشعرونه؟!
أم نحنُ الشعراءون؟!

ثانياً: عمودُ الشعر، وسطوةُ النقاد:

للقائد علي المنتج سطوة لا يستهانُ بها،
حيث النقاد يوجهون مسارات الإبداع،
ويحددون الدروب التي يتحتم أن يسير فيها
الأدباء، وقلماً يجرؤ الشاعر - أو الناثر - على
الخروج عن هذا النمط المرسوم، أو حتى
مجرد التفكير في تجاوز حدوده.

وفي العصور العباسية.. وضعَ النقادُ
آثارَ المتقدمين أمامَ الشعراء، على أنها المثلُّ
الذي ينبغي أن يحتذى، وأنذروهم صراحةً -
بأن خروجهم على هذا النمط الموروث، سوف

(١) الأغاني ص ١٠٢٨. (٢) المصدر السابق ص ٩٩٢.

المقاربة في التشبيه، ومناسبة المستعار منه للمستعار، وتخير لذيذ الوزن الموائم لموضوعه. (١)

على أية حال... ما فتى النقاد العلماء، ينفثون في روع الشعراء، أن هذا الشعر القديم هو القوة المثلى، وبونه لن يكون لهم مستقبل في عالم الشعر، فجمعوا لهم مفردات اللغة، وسماها بعضهم معجم ألفاظ الشعر، ورسدوا الشعر الجاهلي والإسلامي رصداً دقيقاً متأنياً، وبنوا لهم المقاييس في المعاني والألفاظ والأوزان، وعابوا كل شعر حاول أصحابه الخروج به عن هذا المنهج، أو حتى فكروا في مجرد الانحراف عن ذلك الاتجاه الإجماعي، فكانوا - بذلك - عقبة كاداء في طريق التجديد الشعري.

يروي أن ابن الأعرابي كان يقول: (٢)

«... وإنما أشعارُ المحدثين - مثل أبي نواس وغيره - مثلُ الريحان، يشمُّ يوماً، فيذوي، فيرمي به، وأشعارُ القدماء مثل المسك والعنبر، كلما حركته ازدادَ طيباً...».

وكان ابنُ مناذرٍ يقولُ لخلاص الأرقام: (٣)

(١) راجع فلسفة عمود الشعر، ومقاييسه، ووصفه في:

- الوساطة بين المتنبي وخصومه - علي بن عبد العزيز الجرجاني ص ٣٢ وما بعدها، تحقيق محمد أبو الفضل.

- شرح ديوان الحماسة - المزيقي ص ٨ وما بعدها، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون - الطبعة الأولى -

القاهرة ١٩٥٢م.

(٢) الموشح - المزياني ص ٣٨٤ تحقيق علي البجاوي.

وانظر: العصر العباسي الأول - د. شوقي ضيف ص ١٤٠، ١٤١، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

(٣) الأغاني ص ٦٩٦٤.

(٤) المصدر السابق ٦٩٧٢.

«اتقِ الله..»

واحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد..

ولا تقل: ذاك جاهلي وهذا عباسي..

وذاك قديم، وهذا مُحدث..

فتحكم بين العصرين!!!

ولكن احكم بين الشعريين!!!

ودع العصبية...».

وحين عرض ابن مناذر.. قصيدته الدالية

المشهورة، في رثاء عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي، التي يقول فيها: (٤)

إن عبد المجيد يوم تولى

هد ركناً ما كان بالمهدود

لاقيمن مائماً كنجوم الليل

لـ يلطمن حر الخلود

حين عرضها على أبي عبيدة لم تُعجبه،

وصدف عنها، وقال متأففاً:

- دعنا من هذا..

وهكذا.. كان النقاد يُفضلون القديم

لمجرد قدمه، وكانوا يرفضون المستحدث

— فانفجرت أساري، وتهللت فرحاً،
وقلت من فوري:

هذا الشعر لي.. هذا الشعر لي.. إنه ابن
ليلته.

فامتعض الأصمعي، وغير رأيه — من
فوره — قائلاً:

— خست.. أفسدت، أفسدت..

إن التوليد فيه ليّن.

وكان مع ابن الأعرابي صحيفة لا تفارق
كمه، وذات يوم.. تركها — غفلةً — وقام لبعض
حاجته، فنظر الحاضرون فيها، فإذا بها
أشعار كثيرة — لأبي نواس — في الخمر،
فأخذتهم الحيرة، واستبدت بهم الدهشة؛
لأنهم كانوا إذا ذكروا أبا نواس، استخفّ
ابن الأعرابي به وبذكره، فلما رجع، قالوا
له: (٤)

— عجبنا من ازدراك لأبي نواس، مع
تدوينك شعره!!
فقال:

— أو قرأتم ما في الصحيفة؟!

إن أبا نواس لمن أشعر الناس، وما يمنعا
من رواية شعره إلا تبدّله وسخفه!!

ويروي أبو عمرو بن أبي الحسن
الطوسي، يقول: (٥)

لمجرد حدثته، حتي لو كان جيداً.. يقول
الأصمعي: (١)

«... وبشار خاتمة الشعراء..»

والله.. لولا أن أيامه تأخرت، لفضلته على
كثير منهم....»

ويقول كلثوم بن عمرو العتابي، عن أبي
نواس: (٢)

«... والله.. لو أدرك الخبيث الجاهليّة، ما
فضّل عليه أحد...»

ويروي أن إبراهيم بن إسحاق الموصلي..
أنشد الأصمعي بيتين من شعره: (٣)

هل إلى نظرة إليك سبيل؟!

يرو منها الصدى ويشفى الغليل
إن ما قل منك يكثر عندي

وكثير — ممن تحب — القليل

دون أن يسمي قائلهما، فاستحسنهما
الأصمعي، وأظهر إعجابه الشديد بهما، ثم
قال مقرظاً:

— هذا الديباج الخسرواني..

هذا الوشي الاسكندراني..

لمن هذا الشعر؟؟

يقول إبراهيم:

(١) الأغاني ص ٩٨٩.

(٢) المصدر السابق ص ٩٨٦٦.

(٣) المصدر نفسه ص ١٩٦٦.

(٤) ملحقات الأغاني ص ٩٨٦٧.

(٥) أخبار أبي تمام ص ١٧٥، ١٧٦.

وكان أبو عمرو بن العلاء يَخْتَمُ الشعر
بذي الرِّمَّةِ، ويَخْتَمُ الرَّجَزُ بِرَوِيَّةٍ، ففيل له: (٢)
- فما تقولُ في هؤلاء الذين يقولون الشعرُ
من المحدثين؟؟؟

فاجاب:

- إنهم كلُّ على غيرهم..

إن قالوا حسناً فقد سبقوا إليه..

وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم.

ويُكْمَلُ ابنُ رَشِيقٍ.. الموازنة بين السلف،
وأصحابِ الحداثة، فيقول: (٣)

- «...»... وإنما مثلُ القُدَماءِ والمحدثين كمثلِ
رجُلين، ابتدأ هذا بناءً فَأَحْكَمَهُ وَأَتَقَنَهُ، ثم
أتى الآخرُ فَنَقَشَهُ وَزَيَّنَهُ، فَالْكَلْفَةُ ظَاهِرَةٌ
على هذا وَإِنْ حَسُنَ، وَالْقَدَرَةُ ظَاهِرَةٌ على
ذاك وَإِنْ خَسُنَ...»

أرأيتم - إذن... إلى أي مدى كانت سطوةُ
النقادِ عائقاً مُعْطِلاً للتحديثِ الشعريِّ في
العصرِ العباسيِّ.

ثالثاً- علماءُ اللغة والنحو:

وإلى جانبِ النقادِ وعليه القومُ، سيطرَ
اللغويون في العصورِ العباسية - على عوالمِ
الشعر والشعراء، واحتكروا - لأنفسهم الرأيَ
الآخرَ في فنِّ القريض، أو الحكمِ القاطعِ على
مبائدين الشعر ومجالاته، وهم - بثقافتهم

- وجَّهَ بي والدي إلى ابن الأعرابيِّ لأقرأ
عليه أشعاراً، فقرأتُ عليه من أشعارِ هُذَيْلٍ،
ولما كنتُ معجباً بأبي تمام، فقد قرأتُ
أرجوزتَهُ، على أنها لبعض شعراء هُذَيْلٍ:

وعاذلٍ عدلته في عدله

فظنُّ أنِّي جاهلٌ من جهله

حتى أتممتها.

فقال لي:

- اكتب لي هذه..

فكتبتها له، ثم سألتَهُ:

- أحسنه هي؟؟؟

قال:

- ما سمعتُ بأحسن منها.

فقلتُ:

- إنها لأبي تمام!!

فظهرَ التغيرُ في وجهه، وصاحَ مفضباً:

- خرَّق... خرَّق.

ويُعلِّقُ عبد الله بن المعتز على تلك الواقعةِ
بقوله: (١)

«... وهذا الفعلُ من العلماء مُفْرِطُ القبح؛
لأنه يجبُ ألا يدفعَ إحسانُ محسنٍ، عدواً كان
أو صديقاً، وأن تؤخذَ الفائدةُ من الرفيع
والوضيع...»

(١) المصدر السابق ص ١٧٦.

(٢) الأغاني ص ٦٧٤٣.

(٣) العمدة - ابن رَشِيق ج ١ ص ٧٤ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة - دار الجيل - بيروت

١٩٧٤م.

والخذلان، قد يُضطرُّ - أنثذِر - إلى تهديدهم
وهجائهم.

يُرَوَّى عن مروان بن أبي حفصة.. أنه لما
نظم قصيدته في مدح الخليفة المهدي - ذهب
إلى حلقة يونس النحوي وقال له: (٢)
- أصلحك الله..

إنني أرى قوماً يقولون الشعر.. لأن
يكشف أحدهم سؤأته، ثم يمشي - كذلك -
في الطريق، أحسن من أن يظهر هذا الشعر،
وقد قلت شعراً أعرضه عليك..

فإن كان جيداً أظهرته..
وإن كان رديئاً سترته وأخفيت..
وأنشده:

طرقتك زائرة.. فحي خيالها
بيضاء، تخلط بالجمال دلالها
قادت فؤادك فاستقاد، ومثلها
قاد القلوب إلى الصبا، فأمالها
فقال له يونس:
- يا هذا..

أذهب، فانظر هذا الشعر..
فوالله لقصيدتك بريئة من العيوب.
ولانت فيها أشعر من الأعشى إذ يقول: (٣)
رحلت سُميَّة - غُدوة - أجمالها
غضبي عليك، فما تقول بدا لها؟!

وطبيعة تكوينهم - كانوا يتمسكون بالقديم،
ويرونه المثل الذي ينبغي أن يُقاس عليه، أما
شعراء عصرهم - من رواد الحداثة - فلا
ميزان لما يهرفون، وإن تقوَّقوا فيه..

ومن هنا.. امتنع اللغويون عن تسجيل
أشعار المحدثين، أو الاستشهاد بها في
حلقات دروسهم، أو تدوينها في تاليفهم، وذلك
حين رأوا الشعراء يتجافون عن طريقة
السلف، في معانيهم وطريقة نظمهم، بل
هدبهم بالإهمال وخمول الذكر، حتى ليقول
الخليل بن أحمد: (١)

«... إنما أنتم - الشعراء - تبع لي، وأنا
سكَّان السفينة، إن قرظتكم - ورضيت قولكم
- نفقتم، وإلا كسدتكم...».

ومن ثم أضحى علماء اللغة والنحو من
حرَّاس الحركة الشعرية في العصور
العباسية، ومن أصحاب الكلمة المسموعة
النافذة، فمن نوهوا به طار أسمه، وذاع
صيته، وظفر بمجاسة الخلفاء والوجهاء، ومن
لوَّحوا في وجهه خمل، وعاش - عمرة - فقيراً
منسياً.

لذا.. كان الشعراء يحرصون على إرضاء
اللغويين، والتودد إليهم، ونيل موافقتهم على
أعمالهم قبل عرضها، فمن الشعراء من كان
ينجح - بطريقة أو بأخرى - في الوصول إلى
قلوبهم، فيحظى برضاهم، ومن لا ينال - بين
أيديهم - إلا الخيبة والإهمال، أو الحسرة

(١) الأغاني من ٦٩٧٦.

(٢) المصدر السابق من ٣٥٦٤، وراجع أيضاً من ٣٥٥١، ٣٥٥٢. وانظر: الموشح - المزياني من ٣٥٨.

(٣) ديوان الأعشى من ١٥٠ دار صادر - بيروت ١٩٦٦م. وانظر: الأغاني من ٣٥٤٦.

فقال له مروان:

- سررتني ، وسؤتني ..

فأما الذي سررتني به ، فارتضاؤك الشعر ..

وأما الذي ساعني ، فتقديمك إيائي على
الأعشى !! وأنت تعرف محلّه !!

فانبرى يونس للردّ ، قائلاً:

- إنما قدمتك عليه في هذه القصيدة لا في
شعره كله؛ لأنه قال:

ومُصابٍ غاديةٍ .. كأنَّ تجارتها

نشرت عليه برودها ورجالها

قد بت رائدها، وشاةٍ مُحاذِرٍ

حذراً يُقلُّ - بعينه - أغفالها

فظللت أرعاهما، وظلَّ يحوطها

حتى دتوت إذا الظلامُ دنا لها

فرميت غفلةً عينه عن شاته

فأصبت حبةً قلبها وطحالها

والطحال لا يدخل في شيء إلا أفسده ..

وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه .

وافق يونس - اللغويُّ العالم - على

القصيدة، وأطلع الحاضرين كلَّ الحاضرين -

على حيثيات الموافقة، وعلى سرِّ
الاستحسان ..

وحينئذ .. اطمأن - على نفسه - مروان،

وعلى أن قصيدته تلك قد نظمت وفق الأصول

التقليدية، التي يرغبها العلماء، ويثيب عليها

الخلفاء، فمضى واثقاً، وأنشدها المهدي:

(١) ديوان بشار ج ٣ ص ٢٩٨.

طرقتك زائرة .. فحيّ خيالها

بيضاء ، تخلط بالجمال دلالها

قادت فؤادك فاستقاده ، ومثلها

قاد القلوب إلى الصبا ، فأمالها

فانصت الناس لها ، حتى بلغ إلى قوله:

هل تطمسون من السماء نجومها

بأكفكم؟! أو تسترون هلالها؟!!

أو تجحدون مقالة من ربكم

جنيريل بلغها النبي .. فقالها؟!!

شهدت من الأنفال آخر أية

بثرائهم .. فأردتم إبطالها!!

فيقال: إن الخليفة المهدي .. زحف من

صدر مُصلاة، حتى صار على البساط،

إعجاباً بما سمع، ثم قال:

- كم هي؟

قال مروان:

- مئة بيت ..

فأمر له بمئة ألف درهم، فكانت أول مئة

ألف أعطاها شاعر في أيام بني العباس .

وعلى الجهة المقابلة .. نرى الأخفش

اللغويُّ النحوي، يطعن على بشار بن برد في

قوله: (١)

فالآن أقصر عن شتيمة باطل

وأشار بالوجلّ على مُشير

وفي قوله : (١)

على الغزلى مني السلام ، فربما

لهوت بها في ظل مرثومة زهر

وقوله - في صفة سفينة : (٢)

تلاعب نينان البحور ، وربما

رأيت نفوس القوم من جريها

تجري

قال الأخفش :

لم يسمع من الوحل والغزل فعلى ..

ولم أسمع بدنون ونينان . (٣)

فبلغ - ذلك بشاراً ، فغضب ، وقال :

- ولي علي القصارين !!!

متى كانت الفصاحة

في بيوت القصارين

دعوني وإياه !!

فأسرعوا إلى العالم اللغوي وأبلغوه تهديد
بشار .. فبكى الأخفش ،

وجزع جزعاً شديداً ، فقيل له : والآن ..
ما يبكيك ؟

فقال : وما لي لا أبكي ، وقد وقعت في
لسان بشار الأعمى ؟

ثم أرسل الأخفش أصحابه - مريديه -
إلى بشار ، فكذبوا عنه ، واستوهبوا منه
عرضه ، وسأله ألا يهجو ، فقال بشار :

- قد وهبته ، مع لوم عرضه ..

فكان الأخفش - بعد ذلك - يحتج بشعر
بشار - في دروسه وكتبه ليلغة . (٤)

ويقال : إن هذه القصة نفسها - أو ما
يشبهها - حدثت مع سيبيويه إمام النحاة ،
فقال بشار يهجو : (٥).

أسيبويه - يابن الفارسية - ما الذي

تحدثت عن شمتي ، وما كنت تتبذ ؟

أظلت تغني - سادراً - في مساعي

وأملك - بالمصريين - تعطي وتأخذ

فتوقاه سيبويه بعد ذلك ، وكان إذا سئل ،
ووجد له شاهداً من شعر احتج به ،
استكفاً لشره .

وعلى هذا النحو .. احتكر اللغويون سوق
الشعر العباسي وعوا أنفسهم أوصياء علي
الشعراء ، ومضوا يتمسكون ببندود عمود
الشعر بنداً بنداً ، يشجعون التقليديين ،
ويسخون عليهم بألقاب الجودة والمتانة ، بل
يفضلون بعضهم علي القدماء ، من نوي
الأسماء الرثانة كما رأيت من خلال الموازنة
بين أبي بصير الأعشي ، ومروان بن أبي
حفصة .

وفي الوقت نفسه .. كانوا يسقطون
الشعراء من راغبي التجديد إسقاطاً ، وليس
أدل علي ذلك .. من أنك تري الأصمعي وابن
الأعرابي يختمان الشعر العربي باثنين - ابن
ميادة (١) ، وابن هرمة (٢) - من شعراء نجد
والحجاز ، وممن أدركوا الدولة العباسية .

وأياً ما كان من أمر تلك المعوقات ، ومهما

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٨١ .

(٣) هذا وهم من الأخفش ، فقد ورد هذا الجمع في المعاجم ، وفي كتب اللغة ، ففي لسان العرب ، والقاموس ، وغيرهما -
التون : الصوت : والجمع : أنوان ، ونينان .

(٤) راجع : الأغاني ص ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ .

(٥) ديوان بشار ج ٤ ص ٤٧ ، ٤٨ .

والفارسية : امرأة عاهرة زانية ، كان أهل البصرة إذا أراءوا أن يزئوا إنساناً ، قالوا : يابن الفارسية ، بلام العهد .

المتبذلة ، كما ينأى عن الفاظ الببو الحوشية ، أسلوب يحافظ على مادة اللغة ومقوماتها النحوية والتصريفية ، ويوائم بينها وبين حياة العباسيين المتحضرة ، وكان الشعراء : بشار بن برد ، ومسلم بن الوليد ، وأبو نواس ، وأمثالهم ، في طليعة من أرسوا هذا النظام المولد الجديد ، ثم تلاهم جيل من الشعراء ، توزعوا بين من يؤثرون الليونة والسهولة ، مثل أبي العتاهية ، وبين من يؤثرون الليونة والسهولة ، مثل أبي تمام والبحثري ، ومن بعدهما المتنبي وأبو العلاء وأبو فراس .

وأخذ الشعراء يتوالون على هذا النهج ، يجتهدون بالإضافة والتجديد ، ويعملون على تطوير الشكل البنائي للشعر القديم ، بما يتلاءم ومعطيات الحضارة العباسية ، فالمديح الجاهلي الذي كان الشاعر فيه يصور المثل الخلقى الرفيع في عصره ، مجسداً في شخص ممدوحه ، أضحي - في العصور العباسية - يتضمن - إلى جانب ذلك - أعمال الدولة وأمجادها ، في شتى الميادين الحربية والعلمية والصناعية والمعمارية ، وقس على المديح بقية الفنون .

والغريب ، والمدهش .. أن تخف لهجة النقاد تجاه الحداثة ، وأن نرى مواقفهم النقدية تتخذ صورة أخرى ، يلتزمون الأسس الفنية الموضوعية لنقد الشعر ، فلا يقدمون القديم لمجرد أنه قديم ، ولا يؤخرون المولد

بلفت قوتها .. فإنها قد ثبطت - فقط - اندفاع التيار ، بمعنى أنها بطأت مسيرة التحديث الشعري ، ولم توقفها ، فما كانت جملة من العوائق الشكلية لتمنع الروح الجديدة ، من أن تظهر سماتها على فن الشعر ؛ ذلك .. أن الشر هو التوتر الحساس الذي يتحدث بحركة الحياة من حوله .

نعم .. حاول الخلفاء - والنقاد ، وعلماء اللغة - أن يقاوموا تلك الحركات التحررية ، التي بدأت تطفر على سطح الفن الشعري ، إبان العصور العباسية ، بيد أن هذه المقاومة ما وصلت - وما كان لها أن تصل - إلى نهاية الشوط ، فلم تتجح في اقتلاع جنور التجديد ، بل لم تصمد - طويلاً - أمام تياره الجارف ؛ لأن الشعر لا بد أن يحمل سمات حياة يعيشها ، ويصدر عنها ، فلا مناص - إذن - من أن يصور الشعر العباسي الحياة العباسية ، وأن يصف كل ما حفلت به من أفانين الثقافات ، ومظاهر الحضارة ، وألوان الترف ، وقيم الأخلاق ، ونزعات السلوك ، وشتى صور الحياة الاجتماعية .

ولقد تمكّن الشعراء - من أبناء هذا العصر - ورغم كله الضغوط أن يستحدثوا لأنفسهم أسلوباً جديداً ، عرف باسم : أسلوب المولدين ... أسلوب يقوم على عتاد من القديم ، وعدة من النوق الحضري الجديد ، أسلوب ينقي - عن نفسه - ألفاظ العامة

(١) الرماح بن أبرد بن ثوبان ، من مضر العرب ، ومن مخزومي التولتين ، الأموية والعباسية .. وأمه ميادة : أم ولد بربرية ..

مات ابن ميادة في صدر خلافة المنصور ، لكنه لم يقد إليه : لما بلغه من قلة رغبة المنصور في مدائح الشعراء ، وقلة ثوابه لهم .

(راجع : الأغاني ص ٦٧٨ وما بعدها .)

(٢) إبراهيم بن علي بن سلمه بن هرمه ، عربي أصيل ينتهي به النسب إلى فهرس قريش . ولد ابن هرمه سنة ٩٠ هـ .

وأشيد الخليقة المنصور سنة ١٤٠ هـ قصيدة قال فيها :

إن الفواني قد أعرضن مقليةً لما رمى هدف الخمسين ميلادي

وعمر - بعدها - مدة طويلة .

(راجع : الأغاني ص ١٥٨١ وما بعدها .)

لمجرد أنه محدث ، حتى ليقول ابن قتيبة: (١) - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٧ م .

٥ - ديوان الأعشي - دار صادر - بيروت ١٩٦٦ م .
٦ - ديوان بشار بن برد - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٤ م .
٧ - شرح ديوان الحماسة - المرزوقي - تحقيق : أحمد أمين ، وعبد السلام هارون الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٥٢ م .
٨ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة - تحقيق : أحمد شاكر - الطبعة ٢ القاهرة ١٩٧٧ م .

٩ - العصر العباسي الأول - د شوقي ضيف - دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م .

١٠ - العمدة - ابن رشيق - تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد - الطبعة الرابعة دار الجيل - بيروت ١٩٧٤ م .

١١ - القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي ، د . توفيق الفيل - مطبوعات جامعة الكويت .

١٢ - ملحق الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق : إبراهيم الإبياري مطابع دار الشعب - القاهرة .

١٣ - الممتع في صنعة الشعر - عبد الكريم النهشلي القيرواني ، تحقيق د . محمد زغلول سلام - نشر منشأة المعارف - الإسكندرية ١٩٩٧ م .

١٤ - الموشع - المرزباني - تحقيق : علي البجاوي .

١٥ - الوساطة بين المتنبي وخصومه - علي بن عبد العزيز الجرجاني - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

«..... ، ولم أقصد - فيما ذكرته من شعر كل شاعر - سبيل من قلد، أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرت إلى المتقدم - منهم - بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر - منهم - بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل إلى الطريقتين، وأعطيت كلا حقاً ، ووفرت عليه حظه ، » .
ثم يمضي ابن قتيبة - بعد ذلك - إلى كلام طويل ، ينعي فيه على المتعصبين للقديم لمجرد أنه قديم .

وكيفما سارت الأمور .. فإنه يمكننا القول : إن الشعر العباسي على الرغم من القيود التي أحاطت به في بادئ الأمر - فثبّتت همته، وعوّقت اندفاعه التحديث فيه ، بل أوهنت عزيمته الشعراء، في القرن العباسي الأول، على الرغم من ذلك .. نرى الشعر قد انطلق مع الحياة ، وسائر النزعات المتعددة، والاتجاهات المختلفة .

والشعر العباسي - بهذا يمثل طوراً من أطوار الشعر العربي، يحمل كل سمات النقلة الهائلة ، التي غيرت مناهج الناس في التفكير والتعبير، وأنماط السلوك تجاه الحياة والكون

المصادر والمراجع

١ - أخبار أبي تمام - أبو بكر الصولي - الطبعة الثالثة - تحقيق : خليل عساكر وزميله - دار الآفاق - بيروت ١٩٨٠ م .

٢ - الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - تحقيق : إبراهيم الإبياري - مطابع دار الشعب - القاهرة .

٣ - حديث الأربعاء ، طه حسين - الطبعة ١٠ - دار المعارف بمصر ١٩٧٦ م .

٤ - ديوان أبي نواس - شرح علي فاعور

(١) الشعر والشعراء - ابن قتيبة ج ١ ص ٨٦ تحقيق : أحمد شاكر - الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٧٧ م .